



قهوة وذرة وفرضشة... وخيم للحزبيين صيدا التقت بنفسها.. عند دوّار إيليا



من المعتصمين تحلقت في زاوية، لكن رسمت بينها وبين زميلاتها خطوطاً سرعان ما تنقطع عند بدء التجمع اليومي الحاشد مع ساعات المساء حتى ما بعد منتصف الليل، ويتحوّل التجمع من بعدها إلى سهرة احتفالية. قلة عدد المعتصمين في النهار، تترك المساحة للفقراء والمهمشين الذين لأجلهم ثارت نائرة اللبنانيين بمختلف طبقاتهم وانتماءاتهم، صباحاً، يغلب عدد الباعة المتجولين على عدد المشاركين. بدلوا القهوة، بجول شبان وعجزة لبيعوا فنجان القهوة بـ «قد ما بدك». منهم من لم يكن يبيع القهوة قبل أسبوع. كان عاطلاً من العمل. اختار هذه المهنة السريعة والبسيطة التي لا تحتاج لرأسمال، ليسترقق من مشاركين فقراء مثله، ربما لا يستطيعون دفع ثمن أكثر من فنجان. لكن مشاركين آخرين يستطيعون. «إكسبرس الزعيم» و«صاج الثورة» للمناقيش وشاروما وسندويشات وفول وذرة مسلوقة وعرانيس مشوية وفوشار وعصائر. تشكيلة متنوعة لمن يمضي ساعاته هنا. شكل التقاطع بدلاً عن الكورنيش البحري والحدايق القليلة في المدينة التي تفتقد رويداً رويداً إلى المساحات العامة المشتركة التي لا ثمن للدخول إليها. بعد مصادرة «منتره الكنايات» على نهر الأولي وتجديد كرمس العيد في صيدا القديمة وتحديد مواعيد للدخول إلى الحديقتين الوحيدتين، شعر فقراء المدينة بالتشرد. أولئك الذين لا يستطيعون الدخول إلى «المول» والتجمعات الترفيهية الحديثة. أقفل تقاطع «إيليا» المجمع التجاري وباقي المساحات مدفوعة الثمن، وأحيا مفهوم الحيز العام. كما عوّض لبعض الباعة وأصحاب البسطات خسارتهم لقوت



أن واحد، حول ساحة الثورة إلى مساحة عامة تفعل فعل تواصل اجتماعي واقتصادي وسياسي. تظهر عاصمة الجنوب في كل زاوية من زوايا اعتصام تقاطع «إيليا» المفتوح. فوق أحد الجدران، ارتفعت لافتات خطت عليها مطالب معيشية بصيغة شيوعية، وإلى جانب صورة النائب الراحل مصطفى سعد، تدلت يافطة ضخمة تحت شجر الأرصفة، حجز معتصمون إسلاميون مساحة ونصبوا خيمتهم التي لا يفارقونها. يرفعون فيها الأذان ويقيمون الصلاة، من حولهم، تصدح مكبرات الصوت بالأغاني الصاخبة والأناشيد الوطنية. لا يعترضون ولا يتأثرون. كل مجموعة

أهال خليل

لا تخذل صيدا من يعتبرها أنها عاصمة الجنوب، حتى في زمن «الثورة». الألاف من بلدات أضية صيدا وشرقها وجزين والزهراني تحذوا خلال الأيام الماضية قطع الطريق بينهم وبينها. عاندوا الإطارات المشتعلة والردميات وبحثوا عن طرق فرعية بين الأزقة والبساتين، ليصلوا إلى تقاطع «إيليا». هناك، منذ الليلة الأولى للانتفاضة الشعبية، نزل شبان صيداويون حزبيون وغير حزبيين إلى التقاطع وقطعوا حركة السير بأجسادهم. في صباح اليوم التالي، أزرهم المئات من المناطق المجاورة ليصنعوا مشهداً سلمياً اتخذ منحى كرنفالياً ومدنياً ووطنياً ويسارياً في

يومهم جراء الأحداث الراهنة. «كنت أجنبي يوماً خمسة آلاف ليلة، هنا أجنبي 50 ألفاً». وكان لافتاً من قدام الضيافة للمعتصمين. شبان وشابات يحضرون سندويشات الفلافل ويقدمونها للمشاركين. بعض أصحاب المحال قدموا منتجاتهم كضيافة: حلويات ويزورات ومياه وعصائر وطعام. يظهر تنوع المظاهرات في «إيليا» كتتنوع الصيداويين وجيرانهم. العقائديون والحزبيون أشاروا إلى وجودهم باللافتات وأناشيد مارسيل خليفة وزيد الرحباني وتوجيه الحراك نحو إطار مطلب محدد ذي وعي سياسي وتنظيم التحرك ضمن لجان للنظافة والمنبر والشعارات والأغاني وقطع الطرقات. أصر أمين عام «التنظيم

الشعبي الناصري» النائب أسامة سعد على عدم التدخل تنظيمياً أو سياسياً في عمل اللجنة المنظمة للحراك. عبّر عن سعاده بأن «الشعب سبق الأحزاب إلى الثورة». لكن الصيداويين بدورهم سعداء بأن ممثلهم، نجل الشهيد معروف سعد، النائب الوحيد الذي شارك في التظاهرات ولاقى ترحيباً لافتاً في مقابل الإصرار على شمول الوزراء والنواب كافة بـ «كلن يعني كلن». الناشطون المدنيون وأبناء العائلات الصيداوية (منها قريب من تيار المستقبل) عبّر عن ثورته بنمط فني وثقافي. منصات عدّة نظمت أنشطة تشابه أنشطة المهرجانات وكرنفالات العيد: رسم على وجوه الأطفال وتطبير البالونات وتوعية على النظافة وجمع النفايات وفرزها....

